

## السلام الاجتماعى

د. محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

لاشك أن مشكلة البطالة أصبحت المشكلة الرئيسية الآن فى مصر . وليس هناك أدنى شك أن اليأس والإحباط الذى يعيشه الشباب الآن وفقدان الثقة فى المستقبل يندر بأوخم العواقب . لا يستطيع الإنسان أن يحيا بلا أمل ويشعر أنه لا مكان له فى وطنه ولا شىء يتطلع إليه . الأبواب مغلقة والنفق مظلم لا نهاية له . ماذا نتوقع من شباب لا يعرف طريقه . ليس له هدف ولا رؤية ولا أمل فى الحياة . شباب يرى متناقضات حوله فى مجتمع لا يحترم إلا من معه المال بصرف النظر من أين جمعه وفيما ينفقه . شباب يرى أنه لا جدوى من التعليم أو الشهادة ولا فائدة من المعرفة لأن النتيجة واحدة وهى البطالة . لا يمكن أن تستقر الأمور هكذا . يريد الشاب ومن حقه فرصة عمل . يريد مسكنا ويريد أن يتزوج . هذه حقوق أساسية فى الحياة . لا يمكن أن نتجاهل ذلك ويكون همنا الأكبر أن نرعى مصالح الأغنياء على أمل أن يساندوا إخوانهم الفقراء . لا يمكن أن تعطى الدولة رجال الأعمال كل التسهيلات والتخفيضات والتشجيعات على أمل أن يحلوا مشكلات البطالة والإحباط واليأس ولا يفعل القطاع الخاص ما يكفى لذلك . فهو آلة حاسبة دقيقة الحساب تبحث عن المال وعن الكسب بل والكسب السريع . وكما قال أحدهم : " لسنا وزارة شئون اجتماعية " . هذه المشكلة لا بد أن تحل ولن يحلها القطاع الخاص والخصخصة المبالغ فيها والتي لا يراد لها أن تتوقف ستزيد المشكلة تعقيدا . لا يمكن أن تخلع الدولة نفسها وتنفض أيديها من الاستثمار بحجة تركه تماما للقطاع الخاص . القطاع الخاص ليس ملزما بتوظيف الناس وحل مشكلات المجتمع . ولاؤه لجيبه فى المقام الأول ولا مانع من بعض التبرعات هنا وهناك على سبيل المجاملة أو لإظهار حسن النوايا على أحسن الفروض . ولست متحمسا لأن تتوسع الدولة فى الوظائف لأن جيش الموظفين فى مصر عبء على الميزانية . الحل إذاً أن تتبنى الدولة قطاع الاستثمار الاستراتيجى ليستوعب التخصصات النادرة والعاطلة لأن القطاع الخاص يحجم عن الاستثمار فيها . الاستثمار الاستراتيجى يشمل الصناعات الثقيلة والصناعات الإلكترونية والدقيقة وصناعة الطيران ووسائل النقل والصناعات المعدنية والبتروولية والكيميائية وغيرها من الصناعات التى لن يستثمر فيها القطاع الخاص الداخلى ولا الخارجى ولا فى مائة عام . ولا مانع أن تكون هذه الصناعات تابعة لجهاز مشروعات الخدمة الوطنية للقوات المسلحة أو وزارة الإنتاج الحربى أو وزارة الدفاع باعتبار هذه المؤسسات من أكثر الجهات تنظيما وانضباطا وشفافية . ولا مانع أيضا من تشجيع القطاع الخاص على تشغيل الشباب بربط التسهيلات التى تعطى للقطاع الخاص بعدد الوظائف التى يوفرها لا أن تكون حقا مكتسبا بلا مقابل يقدم للمجتمع . ولا بد من ربط الإعفاءات الضريبية بما

يقدمه رجال الأعمال من خدمة عامة مثل إنشاء المستشفيات والجامعات الأهلية غير الربحية والمتاحف كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، مع ملاحظة أن الضريبة التي يدفعها رجال الأعمال في هذه المجتمعات تصاعديّة Progressive تصل إلى ما يقارب مائة في المائة بعد حد معين مع السماح باستقطاع جانب كبير لما يدفع في أعمال تنفع المجتمع . كل هذا لتشجيع رجال الأعمال على العمل التطوعي وخدمة المجتمع . ولا يخفى أن الجامعات في أمريكا مثلا تعتمد على تبرعات خريجيها ومساهمات رجال المال والصناعة والمشرعات البحثية الممولة بينما تمثل رسوم الدراسة ثلث المصروفات فقط . إذا حسبنا الخسائر التي يتحملها القطاع الخاص نتيجة العنف و عدم الاستقرار وحالة اليأس عند الشباب وتراجع الاقتصاد بسبب هذا القلق فإن هذه الخسائر يمكن تفاديها إذا أنفقت نصف هذه الأموال لخلق مشروعات تستقطب الشباب ولو كانت نسبة الربحية فيها أقل مما يرضى عنه رجال الأعمال . ولكنها مشروعات ضرورية لتأمين السلام الاجتماعى وحماية الأغنياء والفقراء على السواء وتقريب الفوارق الرهيبة التي أصبحت الآن فجوة بين الطبقات ونزع فتيل الحقد والكراهية واليأس من المجتمع . هذا اليأس مع مفهوم خاطئ للدين يؤدي إلى العنف من منطلق الانتقام . لم يقر الدين الإسلامي أبدا قتل النفس ولا إيذاء الأمنين ولا ترويع الأبرياء . نعم لابد من الحفاظ على أمن المجتمع وسيادة القانون ولكن أيضا احترام كرامة المواطن وحقوقه وأدميته . الاستشهاد يرتبط بالدفاع عن العقيدة والوطن والعرض والنفس فى ساحة الحرب أو عند رد العدوان . وحتى فى الحروب فإن هناك آدابا حثنا عليها الدين بالامتناع عن قتل النساء والأطفال والشيوخ والأسرى والرهبان والبعد عن تدمير البيوت ودور العبادة وحتى الأشجار . ولكن الخروج عن هذه الآداب بل وعن العقل والتفكير السليم من منطلق فرط الكراهية ليس فى الدين من شىء . قد يكون أعداؤنا ممن ظلمونا وسلبوا حقوقنا هم السبب فى أن يضل البعض إلى هذا العنف والجنون ولكن لا يجب أن يكون أعداؤنا أساتذتنا فلسنا مثلهم . ثم لا يجب أن يكون العنف بين بعضنا البعض حتى لو كانت هناك خلافات فى الرؤى والرأى . الكراهية أوصلت البعض إلى الخروج عن الاتزان والحيود عن صحيح الدين والطبيعة المصرية الأصيلة السمحاء . هذا الوطن يحتاج إلى تصالح مع نفسه ، يحتاج إلى تحديد العدو الحقيقى الآن وهو الضعف الاقتصادى والتخلف العلمى والتكنولوجى والجهل والجهالة . هذا هو العدو الحقيقى أماننا ولن نقدر عليه بالانفرادية والأناية وتجاهل المشكلات . بل بالعلم والإيمان السليم ، بالعقل والعمل ، وبالإرادة الجادة والسلام الاجتماعى .